وقوله جل جلاله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) .. هذه بعض الآيات التى ورد فيها الرضا والرضوان فى الذكر الحكيم .

وما ذكرت إلا القليل منها ، وكل آية تحتاج إلى وقفات متأنية ، ولها دلالات خاصة ، وعطاءات ممدودة ، وظلال وارفة ، وفيضات عظيمة...

الرضا فى السنة :

جاءت فى السنة المطهرة أحاديث كثيرة تذكر الرضا والراضين ، وتؤكد ما جاء فى الذكر الحكيم عنهما ، وتفصح عن منزلتهم ومكانتهم عند العزيز القدير .. وسبحت كثيرا فى هذا ولبيان للعمل الذى قاموا به، وللإيجاز أذكر بعضها :

قال رسول الله (ﷺ) : " ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا " (٢) .

وقال (ﷺ) : " من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، غفرت له ذنوبه " (٣) .

وحول معنى الحديثين قال ابن القيم (وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين ، وإليهما ينتهى ، وقد تضمنا الرضى بربوبيته سبحانه والوهيته ، والرضى برسوله والانقياد له ، والرضى بدينه ، والتسليم له ، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو : الصديق حقا ، وهى سهلة بالدعوى واللسان ، وهى من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان ، ولا سيما إذا

---

(١) سورة التوبة : آية رقم : ٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم : فى كتاب الإيمان ١/ ٢ ، دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب : الصلاة : باب : استحباب القول مثل ما يقول المؤذن ٨٦/٤ ، دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها ... فالرضا بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده ، وخوفه ، ورجائه ، والإنابة إليه ، والتبتل إليه ، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه ...

والرضى بربوبيته : يتضمن الرضا بتدبيره لعبده ، ويتضمن افراده بالتوكل عليه ، والاستعانة به ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به فالاول : يتضمن : رضاه بما يؤمر به . والثانى : يتضمن : رضاه بما يقدر عليه .

أما الرضى بنبيه رسولا : فيتضمن : كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة . لا فى شئ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا فى شئ من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا فى شئ من أحكام ظاهره وباطنه .. وأما الرضا بدينه : فإذا قال ، أو حكم ، أو أمر أو نهى : رضى كل الرضى، ولم يبق فى قلبه حرج من حكمه ، وسلم له تسليما ، ولو كان مخالفا لمراد نفسه وهواها ...) (١) .

فالجزاء من جنس العمل ، ﴿ هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(٢) فإذا كان مقام الرضا رفيعا ، والجزاء جزيلاً ، والثواب عميماً ، فلا بد من التقديم والبذل والجهد للوصول إليه ، فبقدر الجد تكتسب المعالى ... ومن طلب العلا سهر الليالى ..

وفى حديث الرسول (ﷺ) : " إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط " (٣) .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٧٠ ، ١٧٣ .

(٢) سورة الرحمن : آية رقم : ٦٠ .

(٣) رواه الترمذى : كتاب الزهد : باب ما جاء فى الصبر على البلاء : ٤/٣٢٧ ، دار الحديث ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

وعند أحمد " عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : " إذا رضى الله عن العبد أثنى عليه سبعة اصناف من الخير لم يعلمها " الحديث (١)

وعن أبى سعيد الخدرى قال : خطبنا رسول الله (ﷺ) خطبة بعد العصر إلى مغرب الشمس ، حفظها من حفظها منا ، ونسيها منا من نسى ... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اما بعد : فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى : منهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا ، ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أو داجه ، فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ، الا ان خير الرجال من كان بطئ الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطئ الرضا " الحديث (٢) .

" وعن أنس رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله (ﷺ) على ابى سيف القين وكان ظئرا – زوج مرضعته – لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله (ﷺ) ابراهيم فقبّله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يا رسول الله ، فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى ، فقال (ﷺ) : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " (٣)

" وعن جابر بن عبد الله السُّلَميُّ قال : كان رسول الله (ﷺ) يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يُعَلِّم السورة من القرآن يقول:

---

(١) رواه احمد ٣ / ٤٠ ، المكتب الإسلامى ، بدون .

(٢)الحديث طويل : رواه احمد فى مسنده ٣ / ١٩ .

(٣) أخرجه البخارى : فى كتاب الجنائز : باب قول النبى (ﷺ) " إنا بك لمحزنون " ٢/ ١٣٥ ، دار إحياء التراث العربى ، ط ثانية ١٤٠٢ هـ .

إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ، ثم تسميه بعينه خيرا لى فى عاجل أمرى وآجله قال : أو فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسّره لى ثم بارك لى فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال : فى عاجل أمرى وآجله فاصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضّنى به " (١) .

و " عن أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : قال النبى (ﷺ) : إن الله يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك : فيقولون : يا رب وأى شئ افضل من ذلك ؟ فيقول : أحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (٢) اللهم اجعلنا منهم .

وجاء فى الفتح : أن الرضا أفضل من كل شئ .. وافضل من العطاء .. فاللقاء مستلزم للرضا ، فهو اطلاق اللازم وإرادة الملزوم .. ويحتمل أن المراد حصول أنواع الرضوان ومن جملتها اللقاء .. وفى الحديث: جواز إضافة المنزل لساكنه وإن لم يكن فى الأصل له ، فإن الجنة ملك الله عز وجل ، وقد أضافها لساكنها فى قوله (يا اهل الجنة) ، والحكمة فى ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار انه لو اخبر به قبل الاستقرار لكان خبرا من باب علم اليقين ، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين ... وفى الحديث : أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو فى رضا الله سبحانه وتعالى ، وكل شئ ماعداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره وفيه دليل على رضا كل من اهل الجنة بماله مع اختلاف منازلهم ،

---

(١) أخرجه البخارى : فى كتاب التوحيد : باب " وكان الله سميعا بصيرا " ١٣/ ٣٣١ .

(٢) اخرجه البخارى : فى كتاب التوحيد : باب كلام الرب مع أهل الجنة ١٣ / ٤١٧ .

وتنويع درجاتهم ، لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو : أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك (١) ...

حديث آخر وأخير " أن رسول الله (ﷺ) قال : إن ثلاثة فى بنى إسرائيل : ابرص وأعمى وأقرع بدى لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فأتى الابرص فقال : أىُّ شئ أحبُ إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، فقال : وأى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو قال: البقر ، هو شكّ فى ذلك إن الأبرص والأقرع قال احدها الإبل ، وقال الآخر البقر ، فأعطى ناقة عُشَراء ، فقال : يبارك لك فيها وأتى الاقرع فقال : أى شئ أحبُ إليك ؟ قال : شَعْر حسن ، ويذهب هذا عنى قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب ، وأعطى شَعْرا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك قال البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملا ، وقال : يُبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أى شئ أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فاعطاه شاة والدا ، فأنتج هذان ، وولد هذا ، فكان لهذا واد من إبل ، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الابرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعتْ به الحبال فى سفره ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسالك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى ، فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال : له كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيّرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له : مثل ما قال لهذا ، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى فى صورته فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ، وتقطعت بىَ الحبالُ فى سفرى ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك . أسالك بالذى رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها فى سفرى ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيرا

(١) انظر : فتح البارى : ابن حجر ١٢ / ٤١٨

فقد أغنانى ، فخذ ما شئت ، فوالله لا أحدك اليوم بشئ أخذته لله .فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رُضى عنك وسخط على صاحبيك " (١) وجملة أحاديث الرضا كثيرة وما سبق دليل عليها .

وجملة الأحاديث السابقة تذكر الرضا وموجباته ، وكذلك ثوابه عند الله عز وجل من ذلك مثلا : طعم الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، وتذوق حلاوته ، والتسليم والاستسلام والانقياد لأوامر الله تبارك وتعالى فى قرآنه المجيد ، وكذلك التحكيم المطلق والتنفيذ الفورى لسنة رسوله (ﷺ) دون تباطء أو تسويف ، وكل ما جاء به الشرع الحكيم . إن الرضا بكل هذا يثمر حلاوة فى قلب المؤمن ، ولا يعرف ذلك إلا من ذاق ... ثم إن الرضا بحكم الله تعالى وقدره يجتنى منه غفران الذنوب والخطايا .. كما جاء فى حديث " من قال حين يسمع النداء الحديث .. ثم الحديث الذى رواه الإمام احمد يفيد أن الله عز وجل يعطى الراضى عن الله تعالى كثيرا ويفتح له من أبواب الخير مالم يدر به ...

ومن موجبات الرضا وأسبابه أيضا : أن المسلم – وكذا المسلمة – إذا كان بطئ الغضب سريع الرضا فهو من خيرة الرجال .. وبهذا قرر وشهد رسول الله (ﷺ) " الا إن خير الرجال من كان بطئ الغضب سريع الرضا " الحديث .... وأن المسلم إذا ابتلى فى ماله وأهله وولده ، فصبر ولم يسخط ، ولم يجزع ، ولم يتقول بكلام جاهلى ، ورضى بما قدر الله تعالى، فإن هذا من أسباب رضى الله تعالى عنه ... اقتداء بفعل رسول الله (ﷺ) عند فقدان ولده ابراهيم " ولا نقول إلا ما يرضى ربنا " الحديث .. وأيضا : إذا هم بأمر واستخار الله جلت قدرته ، وكان ما كان فليرضى بما قسم الله جل جلاله ، وإذا رضى هيأ الله تعالى من أمره رشدا .. " ثم رضى به" الحديث ... ثم أعظم الجزاء فى الآخرة هو : أن يحل ربنا

---

(١) أخرجه البخارى : فى كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٦/٣٩١ ، ٣٩٢ .

رضوانه على عباده الراضين وهذا الرضا دائم وأبدى فى جنة الفردوس" أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " الحديث ... وأيضا من اسبابه : عدم كفران النعم ، وشكر المنعم جل جلاله ، والتصدق والوفاء والرفق والصدق ،واكرام ابن السبيل الخ كما فى الحديث الأخير .. الى غير ذلك من صور وتعدد طرق الوصول إلى درجات الرضا ...

الرضا والمعاصى :

إن كراهية المعاصى وبغضها ، وعدم الرضا بها من صلب الإيمان بالرضا ، وكذلك بغض أصحاب الفسق والفجور ، وأهل الشرك والكفر ، وإذا قيل إن هذا من قضاء الله تعالى وقدره ، فإن صاحب هذا الإدعاء إما مختل العقل ، او ناقص العلم والمعرفة ، وهو فكر بليد . بل إن إنكار المعاصى وبغضها ، وعدم الرضا بها ، إن هذا مما تعبدنا الله تعالى به ، وقد ذم الله عز وجل الرضا بهذه الآثام والملوثات الفكرية . قال تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ (٢) ، فبغض الكفار والفجار ومقتهم وعدم الرضا بما هم فيه متلبسون ، من الإيمان بالله تبارك وتعالى ، بل من الحب فى الله والبغض فى الله تعالى ، والرضا عن الله عز وجل . قال الإمام الغزالى (ولا يخرج صاحب الرضا عن مقام الرضا : كراهية المعاصى ومقت أهلها ، ومقت أسبابها ، والسعى فى إزالتها ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به. وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع) (٣) وهذه النقطة تتعلق بها نقطة أخرى تزيدها وضوحا وهى :

---

(١) سورة التوبة : اية رقم : ٨٧ .

(٢) سورة يونس : اية رقم : ٧ .

(٣) احياء علوم الدين : الغزالى ٤/ ٣٠٠

الرضا والقضاء :

إن الإيمان بالقضاء والقدر من عقيدة المسلمين الأصيلة ، ومن لا يؤمن بالقضاء والقدر فليس من الإسلام فى شئ ، ونرحد علاقة وثيقة وأصيلة بين الرضا والقضاء والقدر ، حيث إن الرضا من صلب الإيمان...ولا بأس بالمشى خطوات فى ركب العلماء فى هذه القضية ، ونصدر الكلام بحديث سيد الأنام سيدنا محمد (ﷺ) عندما جاءه سيدنا جبريل يسأله عن أمور الإسلام وفى الحديث : " ... ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ... " (١) الحديث وفى روايات أخرى ذكرها ابن حجر (وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره)(٢)

قال ابن القيم (اختيار الرب تعالى لعبده نوعان : أحدهما : اختيار دينى شرعى . فالواجب على العبد أن لا يختار فى هذا النوع ما اختاره له سيده ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٣) فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لإيمانه وتسليمه ، ورضاه بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا النوع الثانى : اختيار كونى قدرى ، لا يسخطه الرب ، كالمصائب التى يبتلى الله بها عبده، فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذى يرفعها عنه ، ويدفعها ويكشفها ، وليس فى ذلك منازعة للربوبية ، وإن كان به منازعة للقدر بالقدر ... وأما القدر الذى لا يحبه ولا يرضاه مثل قدر المصائب والذنوب فالعبد مأمور بسخطها ، ومنهى عن الرضى بها)(٤) ثم ذكر وأطال الخلاف حول هذه القضية ثم قال فى النهاية (قد أنكر الله سبحانه وتعالى على من جعل مشيئته وقضاءه مستلزمان لمحبته ورضاه ، فكيف بمن

---

(١) أخرجه البخارى : فى كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل النبى (ﷺ) عن الإيمان ٩٤/١ .
(٢) فتح البارى : ابن حجر ٩٧/١ .
(٣) سورة الاحزاب : آية رقم : ٣٦ .
(٤) مدارج السالكين ٢ / ١٨٨ .

جعل ذلك شيئا واحدا ؟ ! قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ (١) فهم استدلوا على محبته لشركهم ورضاه عنه بمشيئة لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل أمره ونهيه ، وفيه أبين الرد لقول من جعل مشيئته غير محبته ورضاه ، فالإشكال إنما نشأ من جعلهم المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضى ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك ، والتزام رضاهم به ...

والذى يكشف هذه الغمة ، ويبصر من هذه العماية ، وينجى من هذه الورطة : إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فإنهما ليسا واحدا ، ولاهما متلازمين ، بل قد يشاء مالا يحبه ، ويحب مالا يشاء كونه ، واحدا ،

فالاول : كمشيئته لوجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما فى الكون مع بغضه لبعضه . والثانى : محبته إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، وكان جميعه ، فإنه ما شاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فإذا تقرر هذا الأصل ، وأن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضى ، وأن الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه : زالت الشبهات ، وانحلت الإشكالات ، ولله الحمد ، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض ، بحيث يظن إبطال احدهما للآخر ، بل القدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر ، وكل منهما يحقق الآخر ...

إذا عرف هذا : فالرضى بالقضاء الدينى الشرعى واجب ، وهو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان ، فيجب على العبد أن يكون راضيا به بلا

---

(١) سورة الأنعام : اية رقم : ١٤٨ .

حرج ، ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض ... ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحى بروح الوحى ، وعهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى احكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم ، فقد رضى كل الرضى بالقضاء الدينى المحبوب لله ورسوله) (١)

وهناك مسألة أخرى وهى الدعاء ، فالرضا بالقضاء لا ينافى الدعاء بجميع صيغه المشروعة ، وفى الاحوال المشروعة . فإذا كان الله عز وجل أمرنا بالرضا بالقضاء ، فإنه سبحانه قد أمرنا بالدعاء ، ويستحيل التناقض بين الأمرين ولو كان الدعاء لا يجدى ما أمرنا الله عز وجل به ، وقد أمر الله تبارك وتعالى جميع الانبياء والمرسلين وهم صفوة خلقه بالدعاء ، وقد استجاب الله تعالى لهم ....

موجبات الرضا :

ولتحقيق مقام الرضا سلم يصعد الراغب للوصول عليه ، ذكرها جملة من العلماء ، وللإيجاز أذكر ما قاله ابن القيم ، وقد ذكر من موجبات الرضا ووصل بها إلى إحدى وستين موجبا ، أتناول بعضها باختصار :

أحدها : أنه – العبد – مفوض ، والمفوض راض بكل ما اختاره له مَنْ فوض إليه ، ولا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته ، ولطفه وحسن اختياره .

الثانى : أنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا راد لحكمه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهو يعلم أن كلا من البلية والنعمة بقضاء سابق وقدر محتم .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٩١ وما بعدها ، وانظر : احياء علوم الدين ، الغزالى ٤/ ٣٠٢ ، وانظر : فتح البارى : ابن حجر ١ / ٩٧ . وانظر : التوحيد د / مبارك حسين ص ٤٨٣ ، مطبعة الايمان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

الثالث : أنه عبد محض ، والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده المشفق البار الناصح المحسن ، بل يتلقاها كلها بالرضى به وعنه .

الرابع : أنه محب ، والمحب الصادق : من رضى بما يعامله به حبيبه

الخامس : أنه جاهل بعواقب الأمور ، وسيده أعلم بمصلحته ، وبما ينفعه .

السادس : أنه لا يريد مصلحة نفسه من كل وجه ، ولو عرف أسبابها ، فهو جاهل ظالم ، وربه تعالى يريد مصلحته ، ويسوق إليه أسبابها ومن أعظم أسبابها ما يكرهه العبد قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)

السابع : أنه مسلم ، والمسلم من سلم نفسه لله تعالى ، ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه ، ولم يسخط ذلك .

الثامن : أنه عارف بربه ، حسن الظن به ، لا يتهمه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره ، فحسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده ، ورضاه بما يختاره له سيده سبحانه .

التاسع : أنه يعلم أن حظه من المقدور ما يتلقاه به من رضى وسخط ، فلابد له منه ، فإن رضى فله الرضى ، وإن سخط فله السخط .

العاشر : علمه بأنه إذا رضى انقلب في حقه نعمة ومنحة ، وخف عليه - له ، وأعين عليه ، وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله ، وكَلّه، ولم يزده إلا شدة ...

---

(١) سورة البقرة : آية رقم : ٢١٦ .

(٢) سورة النساء : آية رقم : ١٩ .

الحادى عشر : أن يعلم أن تمام عبوديته فى جريان ما يكرهه من الأحكام عليه ، ولم لم يجر عليه منها إلا ما يحب لكان أبعد شئ عن عبوديته ربه ... فليس الشأن فى الرضى بالقضاء الملائم للطبيعة ، إنما الشأن فى القضاء المؤلم المنافر للطبع .

الثانى عشر : أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه وتعالى فى جميع الحالات يثمر رضى ربه عنه ، فإذا رضى منه بالقليل من الرزق ، رضى ربه عنه بالقليل من العمل ...

الثالث عشر : أن يعلم أن أعظم راحته وسروره ونعيمه فى الرضى عن ربه تعالى فى جميع الحالات ، فإنه الرضى باب الله الأعظم ، ومستراح العارفين ، وجنة الدنيا ...

الرابع عشر : أن السخط - وهو نقيض الرضا - باب الهم والغم والحزن ، وشتات القلب ، وكشف البال وسوء الحال ، والظن بالله خلاف ما هو أهله . والرضى يخلصه من ذلك كله ، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة .

الخامس عشر : أن الرضى يوجب له الطمانينة ، وبرد القلب، وسكونه وقراره .

السادس عشر : أن الرضى ينزل عليه السكينة التى لا أنفع له منها ، ومتى نزلت عليه السكينة : استقام ، وصلحت احواله ، وصلح باله ... وإذا ترحلت السكينة عنه ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة ، وطيب العيش ، فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه ، ومن أعظم أسبابها : الرضى عنه فى جميع الحالات

السابع عشر : أن الرضى يفتح له باب السلامة ، فيجعل قلبه سليما نقيامن الغش والدَّغَل والغل ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم ... وسلامة القلب قرين الرضى ... وسلامة القلب من ثمرات الرضى .

الثامن عشر : أن السخط يوجب تلون العبد ، وعدم ثباته مع الله ، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه ، والمقادير تجرى دائما بما يلائمه وبما لا يلائمه ....

التاسع عشر : أن السخط يفتح عليه باب الشك فى الله وقضائه وقدره وحكمته وعدله ، فقلّ أن يَسلَم الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل فيه ، وإن كان لا يشعر به ، فلو فتش نفسه غاية التفتيش لوجد يقينه معلولا مدخولا ، فإن الرضى واليقين أخوان مصطحبان ، والشك والسخط قرينان ...

العشرون : أن الرضى بالمقدور من سعادة ابن آدم ، وسخطه من شقاوته ...

الحادي والعشرون : أن الرضى يوجب له أن لا يأسى على ما فاته ، ولا يفرح بما آتاه ، وذلك من أفضل الإيمان .

الثاني والعشرون : أنه من ملأ قلبه من الرضى بالقدر : ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة ، وفرغ قلبه لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه . ومن فاته حظه من الرضى : امتلأ قلبه بضد ذلك ، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه . فالرضى يفرغ القلب لله ، والسخط يفرغ القلب من الله .

الثالث والعشرون : أن الرضى يثمر الشكر الذى هو أعلى مقامات الإيمان ، والسخط يثمر ضده ، وهو كفر النعم ، وربما اثمر له كفر المنعم ...

الرابع والعشرون : أن الرضا ينفي عنه آفات الحرص والكلب على الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة ، وأصل كل بلية ، وأساس كل رزية..

الخامس والعشرون : أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان غالبا عند السخط والشهوة ، فهناك يصطاده ... ويقول مالا يرضى الرب ، ويفعل

مالا يرضيه ، وينوى مالا يرضيه ، ولهذا قال النبى (ﷺ) عند موت ابنه ابراهيم " يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب " ....

السادس والعشرون : أن الرضى هو : اختيار ما اختاره الله لعبده ، والسخط كراهية ما اختاره الله تعالى له .

السابع والعشرون : أن الرضى يخرج الهوى من القلب ، فالراضى هواه تبع لمراد ربه منه . فلا يجتمع الرضى واتباع الهوى فى القلب أبدا ...

الثامن عشر : أن الرضى عن الله فى جميع الحالات يثمر للعبد رضى الله عنه ... فإن الجزاء من جنس العمل ...

التاسع والعشرون : أن الرضى بالقضاء أشق شئ على النفس... فإنه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها ، ولا تصير مطمئنة قط حتى ترضى بالقضاء فحينئذ تستحق أن يقال لها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١)

الثلاثون : أن الراضى متلقى أوامر ربه – الدينية والقدرية – بالانشراح والتسليم ، وطيب النفس والاستسلام . والساخط يتلقاها بضد ذلك ...

الحادى والثلاثون : أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضى ، والطاعات كلها أصلها من الرضى ...

الثانى والثلاثون : أن عدم الرضى يفتح باب البدعة ، والرضى يغلق ذلك الباب ...

الثالث والثلاثون : أن الرضى مَعْقِد نظام الدين كله ظاهره وباطنه ...

---

(١) سورة الفجر : الآيتان ٢٧ – ٣٠ .

الرابع والثلاثون : أن الرضى يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى فى أحكامه وأقضيته .

الخامس والثلاثون : أن جميع ما فى الكون أوجبته مشيئة الله تعالى وحكمته وملكه ... فمن لم يرض بما رضى به ربه ، لم يرض بأسمائه وصفاته ، فلم يرض به ربا .

السادس والثلاثون : أن كل قدر يكرهه العبد ولا يلائمه لا يخلو إما أن يكون عقوبة على الذنب ، فهو دواء لمرض ، لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لتزامى به المرض إلى الهلاك ، أو يكون سببا لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه . فالمكروه ينقطع ويتلاشى ، وما يترتب عليه من النعمة دائم لا ينقطع ، فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضى عن ربه فى كل ما يقضيه له ويقدره .

السابع والثلاثون : أن حكم الرب تعالى ماض فى عبده ، وقضاؤه عدل فيه .. ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الظلم والجور ..

الثامن والثلاثون : أن الرضى : أن يتيقن العبد : أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، فلا فائدة فى سخطه بعد ذلك ...

التاسع والثلاثون : أن الرضى من أعمال القلوب ، نظير الجهاد من أعمال الجوارح فإن كل منهما ذِرْوة سنام الإيمان ، قال ابو الدرداء: (ذروة سنام الايمان : الصبر للحكم ، والرضى بالقدر) .

الأربعون : أن أول معصية عُصى الله بها فى العالم إنما نشأت من عدم الرضى فإبليس لم يرض بحكم الله الذى حكم به كونا من تفضيل وتكريم ، ولا بحكمه الدينى من أمره بالسجود لآدم ... (١) وأخذ ابن القيم

---

(١) مدارج السالكين ، ابن القيم ٢ / ٢٠٥ وما بعدها .

يذكر موجبات الرضا وأسبابه وثماره إلى أن بلغ بضعاً وستين فائدة ولولا خوف الإطالة لذكرتها كلها بشروحها (١) .

حكايات عن الراضين وأقوالهم :

إن الرضا ليس وهما أو خيالا لا يتصوره العقل ، وليس الرضا من الأمور المستحيلة التطبيق والتنفيذ ، بل هو واقع وملموس ، وسهل الوصول إليه لمن أراده ، ولقد حققه وطبقه الأنبياء والمرسلون ، وصار على دربهم الصالحون ، ونتاول بعض قصصهم وأقوالهم حول الرضا ستجد ما يسرك ، ويشرح صدرك ، وسوف ينقلب همك إلى فرج ، وحزنك إلى سرور ، وقلقك إلى طمأنينة ، وفزعك إلى أمن ، وعسرك إلى يسر ، وضيقك إلى سعة ، وفقرك إلى غنى وترددك إلى يقين ، وكدك إلى راحة ، وسترى الحياة بعين الرضا والأمل ... وبذلك تحدد حياتك ، وكذلك دينك ، وتتغير الأمور كلها من سالبة إلى موجبة مهما كان البلاء ...

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء .

وقال يوما لامرأته عاتكة – وقد غضب عليها – : والله لأسوأنك ، فقالت : اتستطيع أن تصرفنى عن الاسلام بعد إذ هدانى الله ؟ قال : لا ، فقالت : فأى شئ تسوء نى به إذا ! ؟ تريد أنها راضية بمواقع القدر ، لا يسوءها منه شئ إلا صرفها عن الاسلام ، وقال الثورى يوما عند رابعة : اللهم ارض عنا ، فقالت : أما تستحى أن تسأله الرضى عنك ، وأنت غير راض عنه ؟ فقال : استغفر الله ، ثم قال لها جعفر بن سليمان : متى يكون العبد راضيا عن الله ؟ فقالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وقيل اكثر الناس هَمًّا بالدنيا أكثرهم هما فى الآخرة ، وأقلهم

---

(١) انظر : المرجع السابق : الجزء والصفحات نفسها ، وما بعدها للمزيد

هما بالدنيا اقلهم هما فى الآخرة ، فالإيمان بالقدر ، والرضى به : يذهب عن العبد الهم والغم والحزن (١)

وقال ابن مسعود : الفقر والغنى مطيتان ما ابالى أيهما ركبت ، إن كان الفقر فإن فيه الصبر ، وإن كان الغنى فإن فيه البذل (٢)

وقال عمر بن عبد العزيز : مالى فى الأمور كلها هوى سوى مواقع قضاء الله وقدره (٣) وزرع رجل من أهل الطائف زرعا ، فلما بلغ واستوى أصابته افة فاحترق ، فدخل الناس عليه يواسونه ، فبكى وقال: والله ما عليه ابكى ، ولكنى سمعت الله يقول ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ (٤) ، فأخاف أن أكون من هذه الصفة، فذلك الذى أبكانى (٥) . وسئل ابن المبارك حين ماتت زوجته عن الرضا . فقال : الراضى لا يتمنى خلاف حاله (٦) . وقال بشر قصدت عبادان فى بدايتى ، فإذا برجل اعمى مجذوم قد صرع ، فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى ، وأنا اردد الكلام ، فلما أفاق قال : من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى ، لو قطعنى إربا ما ازددت إلا حبا ، قال بشر : فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها .

بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك ، وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله ، حتى ما أحسسن بذلك.. ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن ، فاشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢ / ٢٢١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ٢ / ٢٢٠ .
(٣) انظر: الرضا عن الله ، ابن أبى الدنيا ، ص ٤٧ .
(٤) سورة ال عمران : آية رقم : ١١٧ .
(٥) انظر : الرضا عن الله : ص ٤٨ .
(٦) انظر : المرجع السابق : ص ٥٧ .

حدث ، فمات الغلام فخرج ابن عمر فى جنازته ، وما رجل اشد سرورا منه ، فقيل له فى ذلك فقال : ابن عمر : إنما كان حزنى رحمة له ، فلما وقع أمر الله ، رضينا به (١) وقال ابو على الدقاق : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء ، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء (٢) وقال الفضيل بن عياض : الرضا افضل من الزهد فى الدنيا ، لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته ، وقال ابو على الدقاق : غضب رجل على عبد له فاستشفع العبد إلى سيده إنسانا فعفا عنه ، فأخذ العبد يبكى فقال له الشفيع : لم تبكى وقد عفا عنك سيدك ؟ فقال السيد : إنه يطلب الرضا منى ولا سبيل إليه، فإنما يبكى لأجله (٣) وعن سفيان الثورى قال : كنا نعود زبيد اليامى فنقول : استشفى الله تعالى ، فيقول : اللهم خرلى ، اللهم خرلى (٤)

ومن كلام سيدنا عمر بن عبد العزيز : لقد تركتنى هؤلاء الدعوات ، وما لى فى شئ من الأمور كلها إرْب إلا فى مواقع قدر الله تعالى، وكان كثيرا يدعو بها ويقول : اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل شئ أخرته أو تاخير شئ عجلته . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه ، فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة ، فإذا هو قد خير له(٥) وعن عامر بن قيس قال : ما أبالى ما فاتنى من الدنيا بعد آيات فى كتاب الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ (٧) ، وقوله

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين ، الغزالى ٤/ ٣٩٨ .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية : ص ٨٩ ، دار الكتاب العربى .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ٩٠

(٤) انظر : الرضا عن الله : ابن أبى الدنيا : ص ٧٥

(٥) انظر : المرجع السابق : ص ٨٠ ، ٨١ .

(٦) سورة هود : آية رقم : ٦ .

(٧) سورة فاطر : اية رقم : ٢ .

تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) (٢)

هذا وفى كتاب مدارج السالكين لابن القيم ، والإحياء للغزالى ، وكتاب الرضا عن الله لابن ابى الدنيا عشرات بل مئات القصص والأقوال عن الرضا والراضين ، ولولا خوف الإطالة لمضيت فى ذكرها ، ولكن ما سبق يدل على ما بقى ....

الرضا والصحة النفسية :

هناك جيوش كثيرة وكثيفة من البشر يعانون من أمراض نفسية واجتماعية خطيرة ، وقد صار المشتغلون بالصحة النفسية فى معالجة هؤلاء ، ووضع الخطط الوقائية من الامراض النفسية والاجتماعية ... وهناك قسمان من الناس كلاهما يعانى من أمراض نفسية : من صراع نفسى ، واضطراب فكرى ، وقلق وأرق ، وتبرم وهم وغم ، وعدم رضا قلبى : فالفريق الأول : انطلق فى جموح وجنوح الى محاولة إشباع رغباته وشهواته ، ومحاولة امتلاك كل شئ ، ولو ملك الدنيا بما فيها ما قنع ، وما توقف عند حد ... وهذه النوعية لكى تحقق مآربها ، وتشبع هواها ، ليس لديها أدنى إيمان بقيمة من القيم مثل : المروءة والرحمة والمودة والعطف والعدل والرضا والمحبة ، وحق زميله أو أخيه فى الإنسانية والحياة والحقوق ، وهؤلاء بهذه النظرة المادية البحتة تراهم فى الظاهر راضين ، وفى حالة ارتياح ، قد يبدو هذا على الأقل مرسوما وموسوما به وجوههم أو هكذا يراهم غيرهم ... لكنهم فى الحقيقة قلوبهم ممزقة ، وعيونهم مكدودة ، وفكرهم مختل ، والصراع النفسى مغروز ومخزون فى أعماق أعماق قلوبهم ، فأفئدتهم كامن فى داخلها نار محرقة ومشتعلة دائما عليهم ، وذلك راجع لسببين رئيسين : السبب الاول:

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم : ١٧ .

(٢) انظر : الرضا عن الله ، ابن أبى الدنيا ص ١١٨

أنهم فى صراع دائم مع الآخرين للحصول على اكبر قدر ممكن من المادة محاولة اشباع نفوسهم ، واطفاء النار المستعرة بداخلها من طمع وجشع وأنانية ، وحب الذات ، وهنا يتطى الشيطان ظهورهم ويستحمرهم ويلهبهم بسياط الرغبة فى الزيادة ، والمضى قدما فى مـ ه النفق المظلم، ثم يزين لهم أن امتلاك الثروة هو فى نهاية المطاف يحقق لهم كل الرغبات من سطوة وسلطة ، وجاه وقوة ، ومن ثمّ سينقاد له خوفا من بطشه وجبروته اكثر الناس ، وبعضهم ينقاد له نفاقا وتزلفا .. لكن فى النهاية سوف يقوده شيطانه وهواه ،وطموحه وجموحه إلى الهاوية ، وسوء المصير ، من تدمير نفسى ، وقلق قلبى ، وتوتر عصبى ، وعدم القدرة على تحصيل حالة الانسجام القلبى ، والرضا النفسى ، والسعادة ، وهذا المطلب الاول والاخير الذى يسعى اليه عقلاء الدنيا ، والسبب الآخر : وهو قلق هذه النوعية من البشر ، من قلق وفزع ، واضطرابات نفسية ، الخوف الدائم ، والارق والقلق المستمر من ضياع هذه المادة الذى وطأ – وهو يلهث وراء جمعها – كل القلوب ، وكسر كل فؤاد قابله فى الطريق ، وحطم مجموعة من القيم ، بل كل القيم فى سبيل تحقيق مأربه الرخيصة ، وهذا الخوف والقلق يجعله لا يستقر فى مقام ولا يهدأ له بال ، ولا تستريح له نفس ، والناس كل الناس له أعداء، والخوف كل الخوف بكل اطيافه من الهجوم عليه فى أية لحظة ، هذا الشعور الذى لا يفارقه ليلا ولا نهارا يجعله يعيش فى هذا الصراع المدمر الذى يعكنن عليه حياته بكل مفرداتها ، ومن ثمّ يرحل الرضا عنه ، ويودعه وداعا لالقاء بعده ... والقسم الثانى : هو الذى يوافق على الدون من العيش ، ومطالب الحياة، ويركن إلى الخمول والكسل والتواكل ، ويرضى بما تبقى من موائد الـ ام ، وينزوى فى احدى زوايا الإهمال ، ويتوارى وراء جدر النسيان ، وينزل فى جب عميق يجتر حظه ، يلطم خده ، ويلوك لسانه بعد فؤاده المملوء حقدا وحسدا وبغضا وكراهية من هؤلاء الزملاء أو الشركاء له فى الإنسانية الذين حرموه الحاجات الضرورية فى مشوار حياته سواء أكانت حاجات مادية أم حاجات نفسية ، وهؤلاء ايضا تركهم الرضا القلبى ، والطمانينة النفسية ، وإن بدا للناس – فى الظاهر – أنهم راضون ،

لكنهم فى الحقيقة أوجعهم التبرم والسخط ، والهم والغم ، والقلق والصراع من جراء أحوالهم وظروفهم النكدة المحيطة بهم ...

إذا : فلا القسم الأول حظى بالرضا ، ولا القسم الثانى عاش راضيا ، ولما استفحلت المشاكل وأصبح التبرم والسخط ضاربا أنيابه الشرسة فى ربوع الناس ، وصار السخط ظاهرة نفسية اجتماعية ، ذهب المشتغلون بالصحة النفسية يبحثون عن العلل والأدوية التى تعالج هذه الأمراض القاتلة ، وهذه العلل التى تنتقل عدواها من جيل إلى جيل ، ومتى يكون الإنسان راضيا – وليس كل الرضا عندهم – بل على الأقل متى يتوفر الإحساس بالرضا ، حتى تنجلى الغمة ، ويستريح البال عند الجماهير ...ويذكر المهتمون بالصحة الفسية عدة اسباب تؤدى إلى التبرم والقلق والتوتر والأرق والحقد والحسد ، ولا باس بذكر وجهة نظرهم – مادام من المشتغلين بالصحة النفسية من علماء المسلمين وهى مقبولة عندنا أيضا – من هذه الأسباب :

مواقف العجز التى يمر بها الإنسان ، حيث يجد نفسه لا يقوى على فعل أى شئ وتنحصر اماله المستقبلية ، وحياته الآنية تعبث بها أيادى خفية ، تسيره كما تشاء ، وتذهب به أينما تريد ... ثم يجتر أحزانه على ما مضى ... كذلك انعدام الحرية بكل معانيها وأنواعها ... وإحساسة بانه ريشة فى مهب ريح عاتية قاصفة قاصمة ... وأيضا شعور الإنسان بتحوله إلى الة صماء لا يقوى على التفاعل مع الاخرين من أخذ وعطاء وفهم ووعى بقيمة الآخرين ، وهنا تحدث فجوات عميقة ، وخنادق متعددة وغائرة ... ويضيع الوصول والاتصال .. وأيضا عدم الوضوح لنظام العلاقات الاجتماعية ، كذلك : عندما يدرك الإنسان ويرى انواع الحياة المختلفة ، أنه يغلب عليها طابع النفاق والتزلف ، ولن يصل إلى مرغوبه إلا ببذه الأمراض اللعينة ، ولو على جثث ورفات الآخرين ، دون أدنى وجل ... وأيضا يشعر الإنسان بان الناس قد اقتنعوا بحب الذات والأنانية ، وإيثار المصالح الخاصة على المصالح العامة ، حتى ولو كانت فى

الدفاع عن الشرف والدين والوطن ... وأيضا : عند الاحساس بأن القدوة الصالحة انعدمت ، وإن وجدت فقد اصبحت من أسوأ ما يمكن ، وتتدرج انتشارها وانتقال عدواها من أعلى إلى أدنى ، وقد يكون العكس، ويعجز المصلحون على وقف هذا التيار الجارف الـمن ... وأيضا : ضياع القيم النبيلة ، والأخلاق الحميدة والفضائل الطيبة مثل الرحمة والمودة ، والتعاون ، والتكامل ، والمروءة ، والنجدة ... وانحصار الذوق الرفيع وتهميشه ، وضياع الحياء ، وحل محل كل ذلك قيم مستغربة ، ومبادئ بالية مستهجنة ، وسلوك مشين ، وتوارت وراء هذا الكم الكثيف الفاسد المتراكم والمركب ... وظهرت وتفشت : الغاية تبرر الوسيلة ، وكذلك ويل للمغلوب من الغالب إلى اخر هذه الفضائح المخزية والمحزنة ، ... كذلك : الوعود الوردية المغلفة والمخدرة ، والتى لا تجنى من ورائها الا التبرم والسخط ، وينسحب الناس من ميدان العمل الجاد الشريف ، والانطلاق الى ميادين العزة والكرامة والصدق والوفاء والثقة بالآخرين ، وظهرت نتيجة ذلك : عدم المبالاة وطفى على السطح ، وانقلبت الموازين ، وانكسر الخاطر ، وطاح الغشم ، واستبد فى دنيا الناس ، وساد الظلم وانتشى ، ورسم على وجوه الناس تقضيب الجبين والنكر ، وحل السواد محل البياض والسخط والتبرم محل الرضا ، والحزن مكان البهجة ، وقتل الامل ، وضاع الوفاء ، وولى الرجاء ، وهبت عواصف عاتية مدمرة على بلاد الشرق الإسلامى بماسلب من تحت قدميه الارضية والخلفية التقية المثمرة اينع الثمار ... وعندما سلبوا ذلك منه فقد تم تصدير أو جعلوه يقوم بنفسه باستيراد الامراض النفسية السخيمة والسخيفة ، والتى كادت أن تهلك الحرث والنسل .... ويحاول العلماء المشتغلون بالصحة النفسية أن يضعوا حلولا لهذا الجو السائد الكئيب فقالوا : لكى يعيش الإنسان فى حالة رضا مع نفسه ومع الآخرين من حوله ، فينبغى إعطاء الفرد الفرصة لكى يطلق القوى الحبسة فى ذاته سواء أكانت حاجات عضوية أم نفسية لكى تتوحد لديه هذه القوى ، فيصير قوله مواكبا لسلوكه ووجدانه وعقيدته ، وكذلك مريد العون ، وتمهيد كل السبل على مساعدة الإنسان لتحقيق رسالته التى تعتمد على الحب والمودة ،

والتفاعل من خلال المشاركة الفعالة فى تحقيق المطالب النبيلة ، وكذلك العمل على ترسيخ الكراهية ، وتشديد النكير للخلال غير الحميدة من كراهية وحقد وبغض وظلم ، وذلك ينعكس على النفس بشعور الأخوة، وكذلك على الإنسان أن يهذب سلوكياته ، ويدافع عن قيمه وأخلاقه مهما كانت النداءات المادية عالية الصوت ، صاخبة الإيقاع منمقة بزينة مزيفة، وايضا العمل الدؤب على جبر خاطر الانسان ، وعدم إحراجه وخاصة فى ضرورياته الملحة والعاجلة ، وايضا إعطاء الحرية لإثبات ذاته والقدرة على المطالبة بالحقوق وايضا رفع الظلم بكل آثامه وآثاره عن المظلومين، وسد حاجات المحتاجين (١)

وهكذا فإن المشتغلين فى حقل الصحة النفسية من المسلمين يبحثون عن العوامل المؤدية لرضا الإنسان وسعادته ، وذلك يبرز مدى أهمية أن يعيش الانسان منسجما راضيا ، أما علماء النفس الغربيين فإنهم أيضا يفعلون الاعاجيب محاولة ان يعيش الانسان فى سعادة ورضا لكن لهم طرق خبيثة وكدرة ولا تحقق السعادة والرضا بحال بل تزيد الطين بلة ... لأن امراضهم وعللهم خبيثة وادويتهم معطوبة ومغشوشة ....

أما بعد تلك كانت سياحة فى بحار الرضا ، ونزهة فى رياضه اليانعة ، وبستانه الباسق ، وفيها اطمأن القلب ، ورسا على شاطئ الأمان، واستنشق أريجه ، وجدد الأمل ، وبث الهمة ، وجدد الدين والعقيدة ورواها بماء من عين سلسبيل ... ومن فضل الله عز وجل أن ساق إلينا هذا الترياق الشافى والمعافى والذى لا نظير له فى دنيا البشر . الا وهو الرضا . ولا عجب فهو منهاج رب العالمين ، الرحمن الرحيم الذى يحب عباده الموحدين ، ويفتح لهم باب الرضا ... فالسعادة كل السعادة فى الدنيا والآخرة لمن ابتغ رضوان الله عز وجل ، ومنهاجه فى كل ضروب الحياة ...

---

(١) انظر : الرضا لمن يرضى : د / سيد صبحى ص ١٧ ، المطبعة التجارية سنة ١٩٨٥م .

فاللهم يا حليم يا كريم ياذا الجلال والإكرام ارضنا وارضى عنا ...

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وارضى اللهم عن الصحابة والتابعين ، واحشرنا معهم آمين

د / محمد رمزى أحمد فواز

أهم مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب السنة وشروحها .

ثالثا : الكتب والدراسات :

١- إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى ، ط عالم الكتب ، بدون .

٢- الأخلاق ، احمد أمين ، ط مكتبة النهضة المصرية ، بدون .

٣- التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، ط عالم الكتب .

٤- تفسير القران الحكيم [تفسير المنار] ، للإمم رشيد رضا ، ط الهيئة العامة للكتاب ، بدون .

٥- تفسير القران العظيم ، للإمام ابن كثير ، ط دار الفكر بدون .

٦- تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق ، لابن مسكويه ، منشورات مكتبة الحياة .

٧- التوحيد فى ضوء العقل والنقل ، د . مبارك حسن حسين ، مطبعة الإيمان

٨- الجامع لأحكام القران ، للإمام القرطبى ، د دار الغد العربى .

٩- الخلق الكامل ، محمد احمد جاد المولى ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت

١٠- الرسالة القشرية للإمام القشرى ، ط دار الكتاب العربى

١١- الرضا عن الله ، لابن أبى الدنيا ، ط الحلبى .

١٢- الرضا لمن يرضى ، د . سيد صبحى ، المطبعة التجارية عام ١٩٨٥م

١٣- كتاب الصدق ، أبو سعيد الخراز ، تحقيق د / عبد الحكيم محمود ، ط دار الكتب الحديثة

١٤- لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف

١٥- مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، ط دار الأمانة

١٦- مداواة النفوس بتهذيب الأخلاق والزهد فى الرذائل ، لابن حزم ، تحقيق : أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ، مكتبة الصحابة بطنطا

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقى ، ط مؤسسة الرسالة

١٨- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ط وزارة التربية والتعليم

١٩- المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى ، ط عيسى البابى الحلبى بالقاهرة

فضلا عن مراجع أخرى ذكرت فى الهوامش .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
- مقدمة	١٤٧
- تعريف الفضيلة : لغة	١٤٩
-الفضيلة فى الاصطلاح	١٥٠
-أصول الفضائل	١٥١
-وضع الفضائل	١٥٢
-هل الفضائل متفاوتة	١٥٣
الرضا فى اللغة	١٥٦
الرضا فى الاصطلاح	١٥٧
-أقسام الرضا	١٥٧
- الرضا مقام أم حال	١٥٨
-الرضا والإحساس بالمكاره	١٥٩
- الفرق بين الرضا والمحبة	١٦٠
-الرضا فى القرآن	١٦١
- الرضا فى السنة	١٧٠
-الرضا والمعاصى	١٧٦
- الرضا والقضاء	١٧٧
- موجبات الرضا	١٧٩
- حكايات عن الراضين وأقوالهم	١٨٥
- الرضا والصحة النفسية	١٨٨
- أهم مراجع البحث	١٩٤
- فهرس الموضوعات	